الحصن الحصين

الصراع مع النفس:

إن الصراع الحقيقي الذي نعيشه خلال حياتنا ليس صراعنا المباشر مع الشيطان بل مع ما هو أخطر من الشيطان علينا، إنه النفس.

النفس الأمّارة بالسوء تحركها المطامع والرغبات والشهوات والأهواء، والشيطان يسهِّل لها الصعب ويزين لها القبيح فيتخذها مطية يقودها حيث يشاء فيحتل الحصن الحصين للإنسان ويودي به إلى التهلكة.

إن الذئب لا يفترس من الغنم إلا القاصية، أي النائية المنفردة البعيدة عن القطيع، والشيطان، هذا الذئب الذي يريد افتراس النفس الإنسانية لا يهاجم إلا المنفرد المبتعد عن الجماعة والصحبة الصالحة.

قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: 28]؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً

ولا يأكل طعامك إلا تقي» [رواه أبو داود في كتاب الآداب]؛ والصحبة الصالحة تبعد الشيطان ووساوسه.

خداع إبليس:

الشيطان يحقِّر لك الذَّنب العظيم، ويقرِّب إليك البعيد ويهوِّن لك الصعب لتستسهله فتقبل عليه؛ يصوِّر لك الوادي سهلاً؛ والجبل معبراً.

هو لن يقول لك تعال ارتكب هذه المعصية وتحمَّل هذا الوزر العظيم، ولن يقول لك هذه زانية فقم وارتكب كبيرة الزنا معها، ولن يقول: ضع دم هذا الرجل في عنقك كي تهوي به في جهنم.

الشيطان يقول: هذا ما سهل فخذه ووسع على نفسك وأنفق منه على ما تحب من أمور، وهذه حسناء لا تدعها تفوتك، فقم وتمتع بها ولا تضيع على نفسك فرصة لن تتكرر، وهذا رجل يقف في طريق أحلامك فتخلص منه لتيسر لك الأمور.

وأنت تصدق ذلك أو تكذبه فرغباتك وأهواءك وشهواتك تدعوك لطاعته، وعقلك وإيمانك يحذرك، فأيها تطيع؟

حكاية اخوين:

مات رجل وترك ولدين، فتقاسما المنزل، سكن أحدهما في الطابق العلوي وكان يعود من عمله إلى داره ويقضي ليله في

العبادة وذكر الله. وسكن الآخر في الطابق السفلي فعاشر رفقة سوء وكان يقضي الليل في المسكر والعربدة والمعاصي.

قضيا على هذه الحال أربعين سنة، وذات ليلة فكر ساكن الطابق العلوي فيما يفعله أخوه الفاسق العاصي وقال في نفسه: لم لا أنزل إلى دار أخي وأشاركه ما يفعل ولو لليلة واحدة ولي من حسناتي ما يضمن لي غفران ذنبي وأتوب بعدها والله غفور رحيم.

في نفس الوقت فَكَّر ساكن الطابق السفلي في حاله وحال أخيه، فقال في نفسه: لم لا أصعد لأخي في الطابق العلوي فلعل الله يشرح صدري للتوبة وأترك ما أنا فيه من المعاصي.

نزل الأول مسرعاً، وصعد الآخر مستعجلاً، ولم يتطلع أحدهما أمامه أو إلى مواقع قدميه فاصطدما وسقطا في بئر السُّلَّم وماتا، فحشر كل واحد منهما على نيته.

أسماء ومسميات:

وفي عصرنا هذا شاعت تسمية الأشياء بغير أسمائها، وبنفس الطريقة الشيطانية التي ذكرناها آنفاً.

الخمور التي تذهب العقل، وتفقد المرء اتزانه وإحساسه بكرامته يسمونها مشروبات روحية؛ فما علاقتها بالروح يا ترى؟

الرشوة يسمونها بقشيشاً أو أتعاباً، مكافأة على تسهيلات،

والنَّصب، وأكل أموال الناس بالباطل يسمونها شطارة، ويقولون «الشاطر ما يمتش» تشجيعاً له على أفعاله.

الفسق والفجور يسمونه موضة وفنًّا، الغش في الامتحانات براعة، وتوفير سني دراسة ومصروفات.

أخطر من إبليس:

إبليس خطر، ووسوسته وهمزه ونفثه ونفخه يمكن أن تودي بنا لو أطعناها، ولكن هناك ما هو أخطر من إبليس وشياطينه؛ ألا وهي النفس، قال تعالى: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ [إبراهيم: 22]، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء: 13، 14]، وقال: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤﴾ [القيامة: 14].

إذن فمكمن الخطر الحقيقي هو النفس وهي بيت الداء لو أهملناها وتركنا لها الحرية لتتبع خطوات الشيطان ولم نراقبها ونحاسبها على كل كبيرة وصغيرة؛ فقابيل أطاع نفسه الأمَّارة بالسوء ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: 30]، والسامري أقرَّ بعد أن صنع العجل ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾ [طه: 96].

العلاج الصحيح:

ونحن عندما نترك النفس فلا نعالجها، ونبحث عن الداء في موضع آخر، نكون كمن يعاني من الكبد، فيذهب لأخصائي

بأمراض الأنف والأذن والحنجرة، أو كالمصاب بالصداع الذي يذهب لطبيب العظام؛ وهكذا يستشري المرض ويقتل المريض.

وهكذا حال من يقضي الوقت في التعوذ من الشيطان ويترك نفسه على غاربها، لا رادع ولا وازع حتى توقعه في التهلكة.

العبادة والطاعة:

يقال عبَّد الطريق، فماذا يعني ذلك؟

ألم تكن طريقاً من قبل؟

بلى، لكنها كانت طريقاً وعرة، صعبة الاستعمال، لا يستفيد منها الناس، فجاءوا بجرَّافة وأزالوا ما بها من صخور وركام وردموا الحفر وسووا الأرض ثم فرشوا الإسفلت فصارت صالحة للاستعمال سهلة العبور، مفيدة للناس جميعاً.

ويقال طوَّع الحديد أي جعله طائعاً طيعاً يمكننا أن نصنع منه ما نريد. ولذلك سمَّى الله سبحانه وتعالى ما نقوم به استجابة لأمره تعالى: طاعات لأنها تطوِّع النفس الأمارة بالسوء فتصير الطاعة عادة لها وسجية وتكره الكفر والعصيان.

وسمَّى الالتزام بما أمر ونهى وما نؤديه من صلوات وزكاة وغيرها عبادات لأنها تعبد النفس وتجعلها قابلة لما فيه صلاح دنياها وآخرتها.

لذلك ترى أحدهم وقد عبَّدت محبة الله وطاعته نفسه يقوم إلى الصلاة نشيطاً فرحاً، وآخر ما زالت نفسه وعرة كثيرة الحفر من المعاصي والذنوب وحب الدنيا يقوم كسلاناً ولا يكاد يبدأ حتى يسلِّم أو يؤخِّر الصلاة من وقت لآخر حتى يفوت وقتها.

ونرى امرأة تلبس حجابها بسعادة وفرح وأخرى تحس أنها تكاد تختنق به. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: 7، 8]؛ فالنفس إذا سوِّيت أي صارت مستوية، معبَّدة صارت مستعدة لتلقي العلم، فألهمها الله وعرَّفها طريق الخير والشر، طريق الطاعة وطريق المعصية ولذلك قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: 10] أي الطريقين، وهو بعد معرفته بذلك عليه أن يقرر أي طريق يسلك.

معرفة النفس:

لقد عرفنا أن هناك نفساً سَوِية عبَّدتها الطاعات، ونفساً غير سوية وما زالت وعرة أمَّارة بالسوء، فكيف نفرق بينهما.

لا بد أن هناك علامات نعرف بها كل واحدة منهما.

العلامة الأولى: المسارعة إلى الطاعات:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: 1، 2].

وقال في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: 142].

وكان رسول الله ﷺ يقول لبلال: «أرحنا بها يا بلال» أي أرحنا بالصلاة أي أن يؤذن كي تبدأ الصلاة فترتاح النفس؛ ثم نسمع أحدهم في أيامنا يقول لصاحبه: قم بنا نخطف المغرب، أي لنصليها بسرعة وكأنه يتصارع معها أو يرفع الأثقال، فالخطف إحدى حركات رفع الأثقال، والآخر يقوم متثاقلاً وكأنه شاة تقاد إلى المجزر.

فالعلامة الأولى إذن، هي الصلاة وكيفية القيام بها، هل نقوم بها بخشوع وحب، وننتظر الصلاة بعد الصلاة فتجد نفوسنا راحة في أدائها، أو أنها ثقيلة على نفوسنا نقوم بها مرغمين كسالى؟

ولنتذكر قول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: 133] فلا نتكاسل ولا نتوانى.

لو ناديت ابنك ليقوم بعمل ما فأخذ يتكاسل، يقول لك: هاأنذا قادم، ويبقى قاعداً أو متناوماً أو يتابع اللعب غير آبه بندائك، فهل يسعدك ذلك؟ وهل ستلبي طلباته بنفس الرغبة التي كنت تفعلها سابقاً؟

لو اتصلت بأحدهم هاتفياً تريد محادثته، ثم أخذت عاملة الهاتف عنده تماطلك لتنتظر أن ينتهي مما يعمل، وتؤخرك وتعلِّلك بأسباب واهية، فهل ستبقى منتظراً، أم تغلق السمَّاعة وتترك المكالمة؟

وكما يقال: عند الامتحان يُكرم المرء أو يهان، فعند صلاة الصبح تُعْرَف النفس السوية من غيرها.

النفس المؤمنة وصف الله سبحانه وتعالى أصحابها، فقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: 16]؛ ولذلك يقوم المؤمن في الحر والبرد، وأينما كان مسرعاً متلهفاً لأداء صلاة الصبح، أما صاحب النفس غير السوية فيتكاسل ويقول: قد أمرض إن قمت في هذا البرد، أو لقد نمت متأخراً، والوقت طويل إلى صلاة الظهر فسأؤديها عندما أستيقظ مرتاحاً.

هذا يقوم الليل في عبادة، ثم يستيقظ لأداء صلاة الصبح في وقتها وذاك يقضي سهرته بالاستماع للأغاني ومحادثة الأصحاب والخلان ثم يتثاقل عن القيام لصلاة الصبح.

العلامة الثانية: الخشوع:

كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم غارت النجوم وهدأت العيون ونامت الجفون وأنت الحي القيوم لا تأخذك سنة ولا نوم، يا حيُّ يا قيوم أهدِئ ليلي وأنم عيني».

وقال أحد العبَّاد:

إن نفساً لم تدرِ للحب طعماً
هي نفس لم تدرِ ما معناها
أنا بالحب قد عرفت طريقي
أنا بالحب قد عرفت الله

وقال آخر:

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب
إذا صح الود منك فالكل هين
وكل الذي فوق التراب تراب
فيا ليت ما بيني وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب

هذا الحب لله والسعي لنيل رضاه ولو غضبت كل الدنيا، الحب الذي تهون بعده الدنيا وما فيها، أو التعلق بالدنيا وأهلها والسعي لنيل رضاهم وتقديرهم وإعجابهم ولو كان ذلك على حساب رضى الله عز وجل، هذا هو الفارق الثاني بين النفس السويَّة والنفس غير السويَّة.

العلامة الثالثة: عتاب النفس:

إذا أخطأ أحدهم، عاتب نفسه، وأنبها، ولم يستطع النوم حتى يستغفر الله عمَّا فعل، ويلوم نفسه للخطأ الصغير وكأنه كبيرة من الكبائر، والآخر يرتكب المعاصي والكبائر سعيداً راضياً مرتاحاً ولا تحلو له الحياة إلا بارتكاب المعاصي.

الأول يترك المجال واسعاً للنفس اللوَّامة التي اصطلح الناس على تسميتها بالضمير لتكون رقيباً على أعماله وأقواله،

والثاني أنامها أو أماتها فلا حسيب ولا رقيب على أفعاله إلا رغباته وشهواته.

هذا هو الفارق الثالث بين النفس السَّويَّة والنفس غير السَّويَّة؛ فالأولى تجد المعصية ثقيلة كالجبل كريهة كرائحة الجيفة مرة كالحنظل، والثانية تجدها هينة لينة سهلة كطريق معبدة، طيبة كالعسل، خفيفة كالنسيم. قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: 7].

العلامة الرابعة: الصحبة الصالحة:

قالوا في الأمثال: قل لي من تعاشر أقل لك من أنت؛ وقالوا: إن الطيور على أشكالها تقع.

وقال الإمام الشافعي:

أحب الصالحين ولست منهم
لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي
ولو كنَّا سواء في البضاعة

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه في جليس أهل الذكر وهو ليس منهم: «هم القوم لا يشقى جليسهم».

فمن أحب الصالحين اكتسب من صلاحهم، ومتى

ارتاحت نفسه إليهم وإلى صحبتهم كانت نفسه سويَّة صالحة، ومن لا ترتاح نفسه إلا بصحبة أهل السوء ومجالس أهل السوء فهو منهم.

العلامة الخامسة: التفكر في الآخرة:

«كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»، فمن يتفكر في الآخرة والحساب والعقاب والثواب والحشر والصراط لا يمكن أن يرتكب المعصية إلا ناسياً أو عن غير قصد.

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 68]، فالنسيان قد يأتي من الشيطان، ولكن من ينسى الله ولا يتفكر في الآخرة فهؤلاء ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: 19] ولذلك كان دعاء المؤمنين كما علَّمنا تعالى في سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286].

فمن يواظب على التفكر في خلق الله، وفي الحساب والثواب والعقاب يفر مِمَّا يوجب له العقاب، ولا ينسيه الله نفسه، أما من يلقي بكل شيء وراء ظهره ولا يفكر إلا في الحياة الدنيا ويقول: أحيني اليوم وأمتني غداً، فلا يبالي بحلال أو حرام، ولا بما قال له أبوه أو شيخه أو صديق ناصح، فهذا وأمثاله ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾. أما ارتكاب الذنب عمداً فلا يأتي إلا من النفس الأمَّارة بالسوء.

تدريب النفس على الطاعات:

باب الجنة مفتوح ينادي، لكن طريقه معبَّدة بالمكاره؛ وباب النار مفتوح وطريقه مزينة بالشهوات فأيها تختار.

أكره نفسك على الاستيقاظ لصلاة الفجر، في الحر والبرد، كي تتوضأ وتؤدي الصلاة في وقتها ومرة بعد مرة تتعود على ذلك حتى يصبح سجية في النفس فلا تسعد إلا به.

ألزم نفسك بالإنفاق في أوجه الخير وأداء الزكاة والسفر للعمرة والحج وستجد أنك تؤدي الزكاة فيما بعد عن طيب نفس، وتشتاق لبيت الله الحرام فتتمنى لو حججت كل عام.

عوِّد نفسك الصبر على الصيام في الأيام الحارة صيفاً وأمامك ما تحب وتشتهي من ماء بارد عذب زلال، وأطعمة شهية، ولكنك تصبر راضياً سعيداً حتى يحين موعد الإفطار لأنك إن تركت نفسك لشهواتها فلن تجد أطيب من زجاجة ماء بارد خارجة من الثلاجة والرطوبة تسيل على جنباتها، إنها تغري بالشرب وتدعو إليه، ولكنك تعيدها وتقول ما زال هناك ساعات لموعد الإفطار.

النفس تحب الحصول على الأموال والثروات والسيارات الفارهة والمنازل الضخمة ولا تسأل عن مصدرها، ولكنك تلزمها ألا تأكل إلا من حلال ولا تقبض إلا المال الحلال، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: 14].

والنفس متى تعودت الحلال لا ترتاح لسواه ولا تقبل بغيره أما إن أطعمتها الحرام وعوَّدتها عليه فإنها تستطيبه وتستكثر منه، وأنت بالخيار.

ماذا تختار؟

إن كنت تريد الجنة فتحمل طريقها المحفوفة بالمكاره، من جوع وعطش في الصيام، وجهد وتعب لأداء الطاعات والنوافل، وحرمان للنفس من شهواتها بالبعد عمَّا حرَّم الله، وإنفاق لأداء الحقوق التي أوجبها الله عليك إلخ... أما إن كنت منساقاً مع رغبات النفس الأمَّارة بالسُّوء فطريق النار المزيَّنة بالشهوات أمامك، أعط نفسك هواها، وإذا اشتهت شيئاً فلا تردعها، إن رغبت بالحرام انساقت إليه، وإن تكاسلت عن الصلاة فاتركها ترتاح وتفعل ما تريد.

إن تحملت المكاره فزت بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وإن تبعت شهواتك ورغباتك وقاد الشيطان خطواتك أوصلك إلى نار وقودها الناس والحجارة.

كيف يتسلط الشيطان:

مواجهة الشيطان سهلة عندما تعتبره عدوّاً وتواجهه كعدو ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: 99].

عندما تواجه الشيطان فمعنى ذلك أنك تسلك طريقاً في الحياة غير طريقه، ورغباتك غير ما يزيِّن ويوسوس.

يقول لك أحدهم أنا قد تسلَّط عليَّ شيطان، أو كتبوا لي سحراً أو رشُّوا ماءً مسحوراً على بابي؛ الشيطان يلازمني ويحرمني النوم والراحة إلخ...

وأسأل هذا وأمثاله: أتصلي؟

ويرد: أحياناً.

وربما قال: أيام الجمعة فقط، وأكثرهم يقول ذلك وهو لا يعرف طريق المسجد إنما يريد أن يتخلص من السؤال بطريقة لائقة.

هل تصوم؟

ويرد: لا أقدر، ويروح يعدد لك أسباباً كلها لا تمنع من الصيام.

ونسأله من جديد، هل تؤدي الزكاة؟

فيقول: أتصدق بعض الأحيان ولكني لا أملك ما يكفيني.

ومع ذلك إذا تفحصت ما يملك، وجدت المنزل الواسع، السيارة الأنيقة والملابس الفاخرة، وأقاربه لا يجدون ما ينفقونه على أنفسهم. يتصدق بعض الأحيان يعني يدفع بعض القروش للمُسْتَجْدين الذين يطلبون ويلحون في الطرقات فيفعل ذلك ليتخلص منهم.

obeikandl.com

تسأله: هل حججت أو اعتمرت؟

والجواب جاهز: لا وقت لدي.

لا وقت لديه لذكر الله ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: 36].

فإذا كنت قد فتحت له الباب واسعاً، ويسرت له السبل لإغوائك فكيف ستواجهه؟

كيف تواجه الشيطان:

إذا كنت عائداً إلى منزلك ليلاً، وتمر بطريق فيها كلب ينبح ويلاحق العابرين، فصرخت به وزجرته وليس في يدك ما يغريه فإنه ينزجر بسرعة ويبتعد عنك ليلاحق من يحمل ما يغريه.

أما إن كنت تحمل اللحم والدجاج ورائحة الكباب تفوح حولك وتملأ ملابسك وزجرته فإنه لن ينزجر لأنك تحمل معك ما يغريه على ملاحقتك علَّه ينال نصيباً منه.

وهكذا نواجه الشيطان، إن كنت لا تحمل الذنوب فوق كاهليك، ولا الشهوات في نفسك، ولا المعاصي تملأ حياتك وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم فإنه ينزجر ويتركك وشأنك.

أمَّا إن كانت حياتك مليئة بالمعاصي والذنوب والشهوات والرغبات الحرام قد احتلت كل زاوية من قلبك، ثم تعوذت بالله من الشيطان الرجيم فإنه لن ينزجر، ولن يتركك وشأنك.

لماذا؟

لأنك تقولها بلسانك، وقلبك يقول عكس ذلك، فأنت تتعوذ بالله من الشيطان ثم تتبع خطوات الشيطان فيقودك حيث يريد، فكيف يتركك؟

ترك الصلاة، عقوق الوالدين، ارتكاب الموبقات، النفاق، الكذب، النميمة، الغرور إلخ... كلها موبقات تحملها معك وتنتقل بها من مكان لآخر، وكلها مغريات تدعو الشيطان ليلازمك فكيف ينزجر!...

نظِّف قلبك من الحسد والضغينة والطمع.

طهِّر نفسك من الرغبة في الحرام.

اترك المعاصي والموبقات، وستجد نفسك وقد صارت أقوى وقلبك وقد صار خالصاً لله ثم ازجر الشيطان فتجده يفر منك ويبتعد.

الكمال لله وحده، وكلنا نخطىء ونتوب، ولكن من استوطنت الخطيئة قلبه فذاك الذي سلَّم نفسه للشيطان، أما من تاب وآمن وعمل صالحاً فهذا هو الذي يملك السلاح اللازم لمواجهة الشيطان والتغلب عليه.

رجل من أهل الجنة:

كان رسول الله ﷺ يجلس مع أصحابه في المسجد، فقال

لهم: سيدخل عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة؛ فقد أعلمه الله سبحانه وتعالى ونقل إليه الوحي جبريل عليه السلام.

التفت الجميع نحو الباب ينظرون من سيدخل، من هو هذا الرجل الذي نال السعادة التي يطمح إليها كل مؤمن.

الجائزة الكبرى التي تهون أمامها أموال الدنيا وما فيها.

رجل من أهل الجنة، من عساه يكون؟

وبعد قليل، دخل رجل أعرابي فصلى ركعتين ثم قعد يذكر الله قليلاً قبل أن يغادر المسجد.

في اليوم الثاني، قال لهم رسول الله ﷺ مرَّ ثانية: «سيدخل عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة».

بعد قليل أقبل نفس الأعرابي الذي جاء بالأمس، فصلَّى ركعتين ثم قعد وذكر الله قليلاً قبل أن يغادر المسجد.

في اليوم الثالث، قال لهم رسول الله ﷺ: «سيدخل عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة».

قالوا في أنفسهم: لا ريب أنه رجل آخر غير الذي جاء في اليومين السابقين.

لكنهم فوجئوا أنه نفس الرجل، ولم يزد على ما فعل في اليومين السابقين شيئاً.

قال سيدنا عليّ رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه لنفسه: لا

ريب أن هذا الرجل قد اهتدى لمنجم حسنات ولا بد أن أعرف ما يفعل وأفهم قصته بكاملها. خرج الرجل من المسجد فتبعه من بعيد.

عندما وصل الرجل إلى داره، ناداه عليٌّ رضي الله عنه فخرج إليه وقال: من أنت؟

قال: ضيف.

رحَّب الرجل به واستقبله في داره والضيافة ثلاثة أيام؛ وراقبه خلال الأيام الثلاثة فرآه يصلي الفرض والسنة، لكنه لا يقوم الليل، ولا يختم القرآن كل يوم ولا يطيل الجلوس للتسبيح.

ناداه سيدنا عليٌّ رضي الله عنه، فجلس قربه.

قال له: أخبرني أيها الرجل بخبرك، فقد قال فيك رسول الله ﷺ أنك من أهل الجنة فما السبب في ذلك يا ترى؟

قال الرجل: والله لا أزيد على ما رأيتني أفعله، فأنا لا أكثر من الصلاة مثلكم ولا أطيل التسبيح ولا أقدر على قيام الليل، غير أني أبيت على وسادتي وليس في صدري غلٌّ لأحد.

فمن يقدر على ذلك؟ إنها المصفاة الأخيرة لتصفية نفوس أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: 47].

وأعلمنا سبحانه وتعالى بدعاء المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: 10].

ونزع الغل تطهير للقلب ولذلك كان دعاء إبراهيم عليه السلام فيما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء: 87 – 89]؛ إذن فالقلب السليم وسيلة النجاة يوم القيامة، يوم لا ينفع المال ولا البنون.

العلاج من المس:

يأتي أحدهم ويقول: أنا مسحور، كتبوا لي سحراً ودفنوه، رشوا علي ماء مطلسماً، رموا في طريقي تراباً إلخ، مسَّني الشيطان فآذاني، أرجوكم ساعدوني.

ولهذا وأمثاله نقول: هل قلبك سليم من الغلِّ والحقد والحسد؟

إن كنت أنت تحسد الناس فكيف يمكن أن تعالج من الحسد؟

تقول مسَّك طائف من الجن؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: 201]؛

فالرجل المتقي إذا أصابه مس عالج نفسه لأنه بعيد عن المعاصي، ومس الشيطان يمكن أن يصيب أي إنسان وقد ذكر تعالى قول أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص: 41]، وأيوب عليه السلام دعا الله سبحانه وتعالى فشفاه، وكل مؤمن تقي يمر بهذه الأزمة فيدعو الله يفرِّج الله عنه.

أما أن تترك الصلاة وتشرب الخمر وترتكب المعاصي وتريد علاج نفسك فالعلاج لن ينفع، ولو طلبت العلاج من سواك فلن يشفيك ولن ينفعك لأن الشيطان قد عشش وباض وفرَّخ في داخلك فكيف يترك عشَّه ومقره؟

صاحب القلعة:

تعالوا نقص الخبر بطريقة أخرى:

رجل يلاحقه الأعداء بالسيوف والرماح فيدخل قلعته ويغلق بابها، فهل يقدر العدو على دخول القلعة؟ بالطبع لا.

لكن لو ترك الأبواب مفتوحة فسيلاحقه العدو داخل القلعة فكيف يمكن أن ينجو؟

إذن عندما نقفل الأبواب التي يمكن أن يدخل منها الشيطان، وهي الشهوات والرغبات والمعاصي فإنه يعجز عن ملاحقتنا أما عندما نترك أبواب الطاعات مقفلة في وجوهنا ونفتح أبواب الشهوات والرغبات والمعاصي فلن نستطيع الصمود في وجه الشيطان وسنسقط ضحية ذنوبنا وأخطائنا.

obeikandl.com

الأبواب التي يحبها الشيطان:

الأبواب التي يحب الشيطان أن يدخل منها، ويترصدك كي تشرع مغاليقها وتفتحها كثيرة، لكن أحبها إليه:

- عقوق الوالدين.
- الخمر، وهي أم الرذائل كلها.
- ترك الصلاة.
- الزنا.
- الحسد.
- الحقد.
- النميمة والغيبة.
- قتل النفس التي حرَّم الله.

راجع نفسك، هل فيها باب مفتوح من هذه الأبواب، إن وجدت باباً منها فاحذر فإن الشيطان لك بالمرصاد فتب وارجع إلى الله وأقلع عنه كي يقفل الباب وتعود إلى حصنك الحصين.

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: 27].

وجاء في الحديث القدسي: «يا ابن آدم أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد، فإن أطعتني فيما أريد يسَّرْت لك ما تريد

ولا يكون إلا ما أريد وإن عصيتني فيما أريد، اِستعصى عليك ما تريد ولا يكون إلا ما أريد».

اللهم ثبت قلوبنا على حبك وطاعتك ودينك الذي رضيته لنا.

اللهم احفظ نفوسنا في درب طاعتك ورضاك ولا توقفنا إلا ببابك يا كريم.

اللهم هذا مقامنا بين يديك فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا تخزنا يوم العرض عليك.

اللهم إنا نسألك حسن العمل وحسن خواتيم العمل وحسن الإيمان وحسن التقى فلا تصرفنا إلا وأنت راضٍ عنا. وصلِّ اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

obeikandl.com